

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين لا يحصى عدد نعمه العادون. ولا يؤدي حق شكره  
الحامدون بديع السموات والأرض إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون.

شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته. وأقرت بالالوهية جميع مصنوعاته، وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات كلمة أتولى  
بها الله ورسوله والذين آمنوا. وأتبرأ بها من الطواغيت والأنداد المعبودين ظلما وزورا  
من دون الله.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله. أمينه على وحيه وخيرته من خلقه اشرف من  
وطىء الحصى بنعله، أرسله الله رحمة للعالمين. وإماما للمتقين وحجة على الخلق  
أجمعين. بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حق الجهاد.  
ففتح الله به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا صلى الله عليه. وعلى آله وأصحابه  
وآزواجه وذرياته أجمعين.

وبعد.

فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يبعث رسوله إلى الناس كافة وأن يكون ذلك  
الرسول من العرب الذين عاشوا مع مجتمعات مختلفة، لكنهم كانوا أقلها تعقيدا  
وفلسفة في وقت كانت الضرورة ملحة إلى بعثه ووجوده لإنقاذ الأمة من مهاوى  
الهلاك. ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

جاءهم وهو من خيرتهم يعرفونه حق المعرفة، فما أن بعثه الله إليهم تمسكوا بدينه  
وانقادوا لأقواله وأفعاله، وامتروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه، فكانوا سلفا لهذه الأمة  
وأصبحوا خير القرون. وإن الأمة لازالت منصوره ما دامت متمسكة بما جاء به  
وسارت على سيره الذي سار فيه عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه. وقد هيا الله  
رجالا نقلوا لنا سيرته وحركاته وسكناته لتسير الأمة في ذلك السير ما استطاعت إلى  
ذلك سبيلا. فنقل لنا أولئك الرجال من أهل العلم كل ما صدر عنه ﷺ وكان من  
بينهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. حيث كتب كتابه القيم الموسوم (زاد المعاد في

هدى خير العباد) فرأيت أن أتناول منهجه والمرويات التاريخية فيه زيادة على شخصيته تكليفاً من معهد التاريخ العربى والتراث العلمى وتشريفاً لى أن أخوض فى غمار هذه المرويات لما تحتوى عليه من سيرة وهدى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام. وتبيناً لأهل العلم إن زاد ابن القيم حوى ما حوى من المرويات التاريخية مما تجعله أن يذكر مع أهل التاريخ دون تأخير عنهم، فهو مؤرخ جدير بالاحترام كما هو فى العلوم الأخرى. فقد احتل مكانة عظيمة بين علماء عصره وقامت شهرته على نفائس ما ألفه من كتب فى مختلف العلوم، فنمت شخصيته سميت البحث بعنوان (ابن قيم الجوزية منهجه ومروياته التاريخية).

تناول البحث فصولاً ثلاثة قدمت لها ومهدت ثم أخيراً ختمت والحقت فكانت المقدمة هذه أشرت فيها إلى الأسباب التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع. ثم مهدت للموضوع فى الحديث عن عصر ابن القيم متناولاً الحديث عن الحالة السياسية أولاً والحالة الاجتماعية ثانياً.

ثم شرعت بفصول الرسالة كالآتى :-

**الفصل الأول:** تحدثت فيه عن ابن القيم ضمن مبحثين اثنين الأول منها عن حياة ابن القيم والثانى عن مكانته العلمية. وقد قسمت المبحث الأول ضمن المطالب الآتية.

**المطلب الأول:** عن اسمه وكنيته ونسبه ومولده. والثانى عن نشأته والثالث عن أعماله ومناصبه والرابع عن عائلته وآل بيته. ثم ختمت المبحث بالمطلب الخامس عن وفاته. **أما المبحث الثانى:** كان الحديث فيه ضمن المطالب الآتية: المطلب الأول عن رحلاته. والثانى عن شيوخه والثالث عن تلامذته والرابع عن مؤلفاته. ثم ختمت المبحث بالمطلب الخامس عن آراء العلماء فيه.

**أما الفصل الثانى:** فقد تحدثت فيه عن منهج ابن القيم. وكان ضمن المباحث الآتية: المبحث الأول عن منهجه العام والمبحث الثانى عن منهجه الخاص فى زاد المعاد والمبحث الثالث: كان عن المنهج العلمى لزاده وضمن المطالب الآتية: المطلب الأول منهجه التفسيرى، والمطلب الثانى: منهجه فى الحديث، والمطلب الثالث: منهجه فى الفقه واصوله، والمطلب الرابع: منهجه فى السلوك والتركية.

**وأما المبحث الرابع:** فقد كان لبيان مصادره التي اعتمدها في زاده ثم ختمت الفصل بالمبحث الخامس والذي كان مخصصاً عن الملاحظات النقدية والتقويمية.

**وأما الفصل الثالث:** فقد قسمته إلى ثمانية مباحث. المبحث الأول: تناولت فيه المرويات العامه ضمن مطلبين اثنين المطلب الأول: مرويات ما قبل الإسلام. والمطلب الثاني أخبار أهل الكتاب.

**والمبحث الثاني:** خصصته عن السيرة النبوية ضمن المطالب الأتية: المطلب الأول: السيرة النبوية الخاصة والعامه. والمطلب الثاني مرويات الهجرة. والثالث عن الغزوات والسرايا. والرابع عن العهود والمواثيق. وأما المطلب الخامس فعن الوقائع والأحداث، وأما المطلب السادس كان الحديث فيه عن الرسائل والبعوث وأما السابع فعن الوفود.

**وأما المبحث الثالث:** فتحدثت فيه عن مرويات مكة والمدينة.

**والمبحث الرابع:** عن الأسماء والكنى والالقب.

**والمبحث الخامس:** تناولت فيه الأيام والشهور.

**وأما المبحث السادس:** فعن الشعر والشعراء.. والمبحث السابع فكان عن مرويات الصحابه وأخيراً المبحث الثامن فقد تحدثت فيه عن الفرق التي ذكرها ابن القيم في زاده. ثم ختمت البحث بما توصلت إليه. وألحقته كذلك بذكر بعض التراجم التي مرت في ثناياه ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع التي استقيت منها بعد الجهد والعناء. وبالرغم من كثرة الذين كتبوا عن حياة ابن القيم الا أنه لم يكتب أحد كتابة وافية بحدود علمي من أهل التراجم ليكون هذا الجهد كافياً لكن هنالك من المعاصرين ممن كتبوا عن حياة ابن القيم فجمعوا بعض ما وجدوه، ومن أبرز ما قرأت من هؤلاء الأستاذ (بكر بن عبد الله أبو زيد) فتابعت بعض ما كتب من المصادر التي استقاها واعتمدت الكثير منها وزدت عليها فجاءت مصادري بفضل الله تعالى متنوعه في هذا البحث ولم تكن مقتصره على المصادر التاريخية فقط وإنما زدت عليها مصادر التراجم والحديث وبعض كتب ابن القيم اضافة إلى المصادر العامه الأخرى ومن المصادر التاريخية الإمام الطبري أبو جعفر بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ صاحب التاريخ، والخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ صاحب تاريخ بغداد،

وكذلك صاحب السيرة الإمام ابن هشام، والإمام ابن كثير اسماعيل عماد الدين أبو الفداء المتوفى سنة ٧٧٤ للهجرة في كتابه البداية والنهاية، وتفسيره القرآن العظيم. وكذلك رجال التراجم التاريخيه أمثال الإمام الذهبي محمد شمس الدين المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة والذي اعتمدت على كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال. وسير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ، ومن هؤلاء أيضا الإمام السبكي تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ للهجرة في كتابه طبقات الشافعية والإمام ابن رجب عبد الرحمن الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ للهجرة في كتابه الوافي بالوفيات والإمام الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ للهجرة في مجمع الزوائد. وكذلك اعتمدت كتب الحديث أمثال كتاب الإمام مالك المتوفى سنة ١٧٨ للهجرة المعروف بالموطأ، والإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة في مسنده، وصحيح الإمام البخاري محمد بن اسماعيل المتوفى ٢٥٦ للهجرة وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري والإمام النسائي أحمد بن علي بن شعيب المتوفى سنة ٣٠٣ للهجرة صاحب السنن واعتمدت كذلك بعض كتب التفسير وعلوم القرآن كالإمام الزركشي محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة في كتابه البرهان في علوم القرآن واعتمدت على كتب ابن القيم في دراستي هذه اضافته إلى زاد المعاد - موضوع دراستنا - ومن ذلك كتبه مدارج السالكين واغائه اللهفان من مصابيد الشيطان وجلاء الإنهام واعلام الموقعين، واجتماع الجيوش الإسلامية، والروح وغيرها من مؤلفاته. ومن المؤلفات والمصادر والمراجع التي ساذكرها ضمن قائمه المصادر. واخيرا هذا جهدي المتواضع الذي لم ألو فيه جهدا فان أصبت فهو من توفيق الله وهذا مرادى ومبتغى، وان اخطأت فجل من لا يُخطئ.

وهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث العلمى

الدكتور ياس خضير الخداد

العراق - بغداد

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

## تمهيد عصر ابن القيم

إن طبيعة العصر الذي يعيش فيه أى علم من الأعلام لا سيما أعلام الفكر لابد أن يكون له الأثر البارز فى حياة ذلك العالم، ولأن الحياة وجوانبها السياسية والاجتماعية لابد لها كذلك من أن تترك الآثار والبصمات فى بناء الحياة الشخصية وتكوين الثقافة واهتمام العالم وطريقة معالجته لقضايا عصره.

وابن القيم العالم الجليل الذى ترعرع فى تلمذته على شيخه ابن تيمية الذى كان ثورة على التقليد والجمود<sup>(١)</sup> والذى حارب البدع والابتدعة فكانت الحرب التى شنها (ابن القيم وشيخه ابن تيمية) رد فعل للحياة الإسلامية حيث طمست معالم الحضارة الإسلامية وغربت شمس الخلافة. واحتل الأعداء الصليبيون والستار أقطار العالم الإسلامى، وعملوا على طمس هويته وإذلال شعوبه، فغدا المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللثام، وهبت عليهم ريح عاصف اجتاحتهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ومزقتهم الأعاصير حتى أصبحوا وقد تكالبت عليهم الأمم وهم كثير ولكنهم كغناء السيل فدخلت عليهم الفتن والفرق الاحادية والطوائف المذهبية والكوارث المروعة التى حلت بشعوب العالم الإسلامى، فأصبح من الضرورى أن ينبرى من علماء الأمة من يأخذ بركب القافلة ليحول اتجاهها إلى شاطئ السلامة والأمان والأمن والاطمئنان، لأن الحاجة كانت ملحة لإزالة الغيش عن نصوص الوحي الإلهى الذى تتأتى عن طريقه السلامة. فكان الإعلان من ابن القيم وشيخه أن أى دعوة لا تقوم على فهم الإسلام فهما شموليا مطابقا لفهم سلف هذه الأمة بعيدا عن المؤثرات الخارجية التى ينفثها أعداء الإسلام، ولم تكن دعوة إسلامية خالصة ما لم تنجح الوحدة، والقوة والجدارة حتى يتم التمكين الذى وعد الله به المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وسأسلط الضوء على جزء من الحالة السياسية والاجتماعية فى عصر ابن القيم تمهيداً لما نحن فيه.

(١) صالح سرية بين الاتباع والتقليد ص ١١.

(٢) أبو زهرة فى ابن تيمية ص ٥. والمراغى فى ابن تيمية ص ٧. والبيطار فى ابن تيمية ص ٧.

## أولاً: الحالة السياسية:

كان لبلاد الشام على مر العصور الأثر المشرق في مقاومة الغزاة والطامعين لا سيما موقف أبناءها ورجالها في مقاومة الصليبيين والتتار<sup>(١)</sup> ففي هذا العصر امتحن المسلمون امتحانا عسيرا. وزلزلوا زلزالا شديدا فكان من الطبيعي المفجع سقوط بغداد سنة ٦٥٦ للهجرة وسقوط حلب سنة ٦٥٩ للهجرة أى قبل ولادة ابن القيم، وهذا الحدث العظيم الذى يعنى انهيار الخلافة بما تحمل فى طياتها من معنى سام ورمز مقدس للمسلمين وسيطرة الاعداء الذى لا يرقبون فى الإسلام (إلا ولاذمة) فخبأ لهيب المسلمين فى بلاد الإسلام وكادت شمعتهم ان يطفىء نورها لو لا عناية الله التى أغنت عن مقاومة من الدروع وعن عال من الاطم، فلم تكذب نجف دماء القتلى فى سنة ٦٥٣ للهجرة حتى وصل المغول إلى بغداد. وبدأ التاريخ. يكتب صفحة جديدة للأجيال غير الصفحات الناصعات الماضيات. وقد وصف المورخ (جيسون) الحالة قائلا:

(أنها كانت أشبه بهزات الطبيعة العنيفة التى تغير وجه الأرض. أن بعض سكان السويد وقد سمعوا عن طريق روسيا نبأ ذلك الطوفان المغولى، لم يستطيعوا أن يخرجوا كعادتهم إلى الصيد خوفا من المغول)<sup>(٢)</sup> وقد تردد ابن الأثير فى تدوين مأسى تلك الازمة قائلا: (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لما لها كرها لذكرها، فانا اقدم اليها رجلا وأوخر أخرى فمن الذى سهل عليه ان يكتب نعى الإسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك فىا ليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تظهيرها وانا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا)<sup>(٣)</sup> ويمكننا إجمال الحالة السياسية بأثر العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم من الصليبيين والتتار وما كان لتلك العلاقة فى نفوس المسلمين حتى أن أهل العلم أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، شاركوا الناس آلامهم، وتحملوا جزءاً من المواجهة فتصدوا للأخطار، فساهموا

(١) محمد أحمد باشميل، حرب الإسلام فى الشام فى عهود الخلفاء الراشدين ١٦. وعبد المتعال عبد الله عامر، تاريخ فتوح الشام ص ٦. ود. حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى ١/٢١٥.

(٢) انظر محمد يوسف موسى، ابن تيمية ص ١٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ١٢/٢٨.

فى الإصلاآ السىاسى وقء ذكرك ابن ءىمىه قائلآ: (ولقد شهءء من فراسة ابن ءىمىه رآمة الله أمورا عآبىة وما لم أشاهءه فىه أعظم وأعظم؁ ووقائع فراسءه ءسءءى سفرا ضآما فلقد أآبر ءقى الءىن ابن ءىمىه أصحابه بءآول ءءارء الشام؁... وان آىوش المسلمىن ءكسر فى أول الأمر؁.. ثم أآبر الناس... أن الءائرة والهزىمه علىهم؁ وأن الظفر والنصر للمسلمىن؁ واقسم على ذلك أكثر من سبعىن ىمىنا؁ فىقال له: قل إن شاء الله فىقول إن شاء الله ءآقفا لا ءعلىقا<sup>(١)</sup> فءشآع الناس فى قءال ءءارء وقد أءى ابن ءىمىه بالفطر مءة القءال ضء ءءارء كل هءه المؤشراء السىاسىة والقضایا العسكرىة مما لا شك انها كانت ذات ءأىر واضح فى آىاة ابن القىم رآمه الله ءعالى.

### ءأىبا. العالة الاجءماعىة؁

أءراء العالة السىاسىة فى العالة الاجءماعىة؁ فزىاءة على الحروب والمآن الكآىرة الءى كانت سببا للابءلاء فقد شاءء كذلك المآن الءى آلء بالمآءمع انءاك؁؁ فى سنة ٦٦٧ للهجرة هبء رىآ أغرقء مائى مركب فى ءىل فهلك فىها آلق كآىر؁ وأصاب الشام صاعقة أهلكء الشمار وفى سنة ٦٦٩ للهجرة آاء سىل عارم إلى ءمشق فأءلف بعض المءن وغرق بسببه الكآىر من الناس<sup>(٢)</sup> وقد كانت طبقات الناس موزعة بىن الآكام والعلماء والشعب؁ فآصلء الآلاف المذهبىة إضافة إلى ما آصل من الكوراء والمآن؁ فأءى ذلك إلى اضطراب العالة الاجءماعىة؁ فانبرى بعض أهل العلم لاصلاآ المآءمع وأهابوا بالآكام أن ىراءوا مصالح الشعوب؁ ولم يألوا آهءا فى إصلاآ المآءمع من ءاآل نفسه؁ لما آل بذلك المآءمع من سوء العالة الاقءصاءىة آىآ آءكر بعض ءآار البضائع؁ فبىن أهل العلم آطر الاآءكار من الناحىة الءىنىة والاجءماعىة. فكان ابن القىم ممن ىكان له نصىب فى ذلك الإصلاآ مقءءىا بشىآه ابن ءىمىه رآمه الله ءعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مءارآ السالكىن ٢/٤٨٩.

(٢) انظر ابن كآىر؁ البءاءة وءءاهة ١٣/٢٢٥؁ ٢٥٩. و٤/١٨-١٢٨.

(٣) ابن كآىر؁ البءاءة وءءاهة ١٤/٧٠٦.